

دور الحديث في التفسير

منصور شعث المالكي
عضو هيئة تدريس بكلية الآداب
بجامعة بنغازي
Mansor454@hotmail.com

أحمد عبدالله الصادي
عضو هيئة تدريس بكلية الآداب
جامعة اجدابيا
elsadi.a.ahmed@gmail.com

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من معالم العلم وشعائر الشرائع ومشاعر الملك كل ما جلّ ودقّ، ونزل عليه كتاباً مُعجزاً أفحم مصاقع الخطباء من العرب العرباء وخطاباً مُفحماً أعجز بواقع البلغاء من عصابة الأدباء، بأظهر بيانات وأبهر حجج قرآناً عربياً غير ذي عوج، أمر فيه وزجر، وبشّر وأنذر، وذكر المواعظ لتذكّر، وقصّ عن أيام الأمم الخالية ليعتبر، وضرب فيه ضرب الأمثال ليتدبر، ودلّ على آيات التوحيد ليتفكّر، أنزله بحسب المصالح والحكم منجماً.

فقد أكرم الله هذه الأمة بالقرآن الكريم فكانت خير أمة أخرجت للناس، عندما جعلته منهاجاً لها ودستوراً في حياتها، ولقد تحقّق لهذه الأمة من الخير والنصر، عندما تمسّكت بتعاليمه مالم تكن تحلم به أبداً.

إنّ أعظم العلوم مقدّاراً، وأرفعها شرفاً ومناراً، وأعلاها على الإطلاق وأولاها تفضيلاً بالاستحقاق، وأساس قواعد الشرائع والعلوم، ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم، ورأس الملك الإسلامية وأسها، واصل النحل الإيمانية واستقصاها، وأعزّ ما يرغب فيه ويعرج عليه، وأهم ما تناخ مطايا الطلب لديه، هو علم التفسير لكلام العزيز القدير، لكونه أوثق العلوم بنياناً، وأصدقها قبيلاً وأحسنها تبياناً، وأكرمها نتاجاً، وأنورها سراجاً، وأصحّها حجةً ودليلاً وأوضحها محجةً وسبيلاً، وقد حاموا جميعاً حول طلابه وراموا طريقاً إلى جنابه، والتمسوا مصباحاً على قبابه، ومفتاحاً إلى فتح بابه.

Abstract

All praise due to Allah and peace be upon the Messenger of Allah and his companions and all who follows him; and then;

The knowledge of Hadith has an important role in Tafseer (the interpretation of the Holy Quran), since the knowledge of Tafseer is related to narratives and there is no place in it for mere opinion, and that narrative needs authentication and confirmation. From that comes the role of the knowledge of Hadith and its principles and fundamentals to confirm what is used to in interpretation of the Holy Quran and to distinguish what is true from and (Sahih) it and what is not (Dha'ef), also it is well known that the Sunnah is explanatory for the Quran, as the Hadith of the prophet peace be upon him explains and interpretate the words of Allah, from this point came this research as a summary in the classifications of Hadith and the narratives and the types of Tafseer and their value and relation to each other with examples of all that.

And may Allah The Highly and Majestic grand us success.

أهمية البحث:

علم التفسير هو علم باحث عن نظم نصوص القرآن وآياته، وآيات سور الفرقان بحسب الطاقة البشرية وبوقف ما تقتضيه القواعد العربية.

علم التفسير معرفة أحوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالاته على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالاته على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الإنسانية.

دوافع البحث:

معرفة معاني النظم ومعرفة الأحكام الشرعية العملية، وفائدة حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة وموضوعه كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدّل كل خصلة وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه.

أسباب اختيار البحث:

علم التفسير هو أشرف العلم وجلالته باعتبار غايته ومنشوده الوقوف على معاني القرآن الكريم وفهمها من خلال الأحاديث النبوية المأثورة وإزالة الشكّ والغموض وتوضيح المراد لدى القارئ والسامع.

منهجية البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك بجمع المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع واستخلاص منها النتيجة.

إشكالية البحث:

عدم تتبّع القارئ إلى التفسير عن طريق الأحاديث المأثورة واعتماد الكثير على مرجع واحد للتفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن.

دراسات سابقة:

- (1). التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1405هـ/1985م.
- (2). البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن الزركلي، بيروت، مكتبة صيدا، د.ط، د.ت، 172/2.
- (3). دراسات في التفسير ورجاله، أبو اليقظان عطية الجبوري، بيروت، دار الندوة الجديدة، ط3، 1406هـ/1986م.

خطة البحث:

المقدمة واشتملت على ما يلي:

- 1- أهمية البحث.
- 2- دوافع البحث - أسباب اختيار البحث.
- 3- منهجية البحث.
- 4- إشكالية البحث.
- 5- دراسات سابقة. وخطة البحث.

المبحث الأول: تعريفات.

- المطلب الأول: تعريف التفسير.
- المطلب الثاني: تعريف الأثر.
- المطلب الثالث: تعريف الحديث.
- المبحث الثاني: أهمية التفسير بالمأثور وضوابطه.
- المطلب الأول: أهمية التفسير بالمأثور.
- المطلب الثاني: أقسام التفسير.
- المطلب الثالث: أشهر كتب التفسير بالأثر.

المطلب الرابع: حكم المأثور عن الصحابة في التفسير.

المبحث الثالث: أهمية الحديث ودوره في التفسير.

المطلب الأول: أن تكون شارحة ومبينة للقرآن.

المطلب الثاني: أن تكون مثبتة ومنشئة حكماً عن القرآن.

المطلب الثالث: أن تكون مقررة ومؤكدة لحكم ورد في القرآن.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه في البحث.

الفهارس: وتشمل:

فهرست الآيات القرآنية.

فهرست الأحاديث النبوية.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

المبحث الأول: تعريفات.

المطلب الأول: تعريف التفسير.

أولاً/ لغةً:

يُراد به الإظهار والكشف، وأصله فَسَرَ، والفسرُ: البيان، فسّر الشيء يُفسره بالكسر والضمّ فسراً فسّره، أبانه والتفسير مثله،

قال ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقوله عزّ وجلّ: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا

[الفرقان/33].

والفسرُ: كشف المغطى والتفسير كشف المراد من اللفظ المُشكّل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يُطابق الظاهر

واستفسرته كذا: أي سألته أن يُفسّر لي. والفسرُ: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة وقيل البول الذي يستدل به على

المرض. وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علّة العليل. وكلّ شيء يُعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته. وقال

آخرون هو مقلوب من سفر ومعناه أيضاً الكشف يُقال سفرت المرأة سفوراً. إذا ألفت خمارها عن وجهها، وهي سافرة. وأسفر

الصباح: أضاء . وقال ابن عباس في قوله: **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** [الفرقان/33] أي تفصيلاً. وقال الزركشي: فالتفسير كشف المُغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتسب به (ابن منظور، 1410 - 1990): 5/55.

ثانياً/ التفسير اصطلاحاً:

هو كشف معاني القرآن وبيان المراد. (السيوطي): 222/2.

قال بعضهم: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومُحكمتها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدتها ومحملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدتها ووعيدتها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها. (السيوطي) 22/2 .

المطلب الثاني: تعريف الأثر:

لغة:

الأثر: مصدر قولك أثنيت الحديث أثره إذا القوم يآثره ويأثره أثراً وأثاره وأثره: وقبل حدث به عنهم في آثارهم، وقال: والصحيح عندي أن الأثر الاسم وهي المتأثرة والمتأثره. (ابن منظور، 1410 - 1990): 6/4.

تعريف الأثر اصطلاحاً:

لا يخرج استعمال الفقهاء والأصوليين للفظ "أثر" عن هذه المعاني اللغوية فيطلقون الأثر بمعنى البقية كما يلقونه بمعنى الخبر فيريدون به الحديث المرفوع أو الموقوف أو المقطوع، ويطلقونه بمعنى ما يترتب على الشيء، وهو المسمى بالحكم عندهم (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1404 - 1983): 249/1.

المطلب الثالث: تعريف الحديث:

لغة:

حدثٌ وحديثٌ ومحدثٌ بمعنى واحد: كثير الحديث، والأحاديث في الفقه وغيره معروفة، وفلان حدثك أي محدثك، والقوم يتحدثون ويتحدثون، ويُقال للرجل الصادق الظن: مُحدث، وفي الحديث: قد كان في الأمم محدثون فإن يكن من أمتي أحد، فعمر بن الخطاب، جاء في الحديث تفسيره أنهم الملهمون والملمه هو الذي يلقي في نفسه الشيء فيخبر به حساً وقراسة،

وهو نوع يخص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل عمر، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه. (ابن منظور، 1410 - 1990):2/134.

الحديث اصطلاحًا:

هو كل كلام مسموع له معنى وله ثلاث أنواع، حديث صادر عن الرسول ﷺ وحديث صادر عن شخص، وحديث النفس. (محمد رواس قلعة جي، 1421 - 2000):1/728.

المبحث الثاني: أهمية التفسير بالمأثور وضوابطه.

المطلب الأول: أهمية التفسير بالمأثور:

يأتي في المرتبة الثانية في طرق تفسير القرآن الكريم.

ففي المرتبة الأولى: يأتي تفسير القرآن بالقرآن:

فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد يُبسّط في موضع آخر.

وفي المرتبة الثانية: يأتي تفسير القرآن بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن

إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن: قال الله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ**

النَّاسِ بِمَا آزَاكَ اللَّهُ [النساء/105]

وقال تعالى: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** [النحل/44]

وقال تعالى: **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ** [النحل/64].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" (أبو داود السجستاني، 1418 - 1997): رقم الحديث (4604)،

11/5. يعني السنة، والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى كما يتلى. وقد استدال الإمام الشافعي

وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة. (ابن تيمية الحراني، 1420 - 2000): 57 - 58.

المطلب الثاني: أقسام التفسير:

ينقسم التفسير إلى قسمين:

1) التفسير بالمأثور:

ويشمل تفسير القرآن بالقرآن: لأن ما أجمل في مكان وأطلق في مكان بين وقتي في مكان آخر، والتفسير المروي عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.

مثال: تفسير القرآن بالقرآن، قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ _ فقوله تعالى " إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ _ بالآية رقم 3 من السورة وهي قوله تعالى : حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحُمَّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمُتَرَدِّبَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسِقُ الْيَوْمِ يَنسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

فسر بالآيات التي بعده: إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا .(ابن الأثير الجزري، 1418 - 1998): 7/2.

ومثال: المروي عن الرسول ﷺ في قوله تعالى: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فسّر الرسول ﷺ المغضوب عليهم: باليهود، والضالين: بالنصارى، رواه الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.(ابن العربي المعافري، 1418 - 1997) رقم الحديث(3067) 12./141.

وماروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم). شق ذلك على المسلمين وقالوا أيّنا لا يظلم نفسه فقال الرسول ﷺ : (ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه (يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

(2) التفسير بالرأي:

وهو الذي يعتمد فيه المُفسّر على الاستنتاج العقلي للأحكام والحكم من الآيات، وترجيح الاحتمالات ويجوز التفسير بالرأي لمن كان عالماً باللغة العربية والنحو الصرف والبلاغة وناسخ القرآن ومنسوخه وأسباب النزول والسنة صحيحها وضعيفها وأصول الفقه، وأن يكون موهوباً، والموهبة لا تأتي إلا بالتقوى فكأما كان الإنسان أكثر تقوى وخشية لله فتح الله عليه وعلمه ما لم يعلم، وبارك في علمه

فالمطلع على كتب العلماء السابقين يجد نفسه أمام موسوعات علمية في التفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول، فإذا ما قرأ فيها وجد فيها الغزارة العلمية والاستنتاج الدقيق والاستقصاء والترجيح بين الأدلة والردّ على المخالفين ودفع الشبه وغير

ذلك من المباحث فيتساءل كيف جمعوا هذه المعلومات وكيف اتسعت أعمارهم لتأليف هذه الموسوعات ولا يجد جوابًا على ذلك إلا أنهم أخلصوا النية في طلب العلم واتقوا الله، ففتح الله عليهم وبارك في وقتهم وعملهم.

ويحرّم التفسير بالرأي لمن لا تتوفر فيه الشروط السابقة قال الرسول ﷺ: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)(ابن الأثير الجزري، 1418 - 1998)

والمعنى أنّ من فسّر القرآن برأيه المُجَرّد دون الرجوع إلى لغة العرب وأساليبها في البيان والرجوع إلى المروي عن الرسول والصحابة ومعرفة الناسخ والمنسوخ فقد أخطأ الطريق الذي يتوصّل به إلى تفسير كتاب الله وإن أصاب في رأيه لمراد الله لأنّه أتى الأمر من غير باب، حيث فسّر كتاب الله بما لا يعلمه، ولذي نجد الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين تكلموا في القرآن بما لا علم لهم به.

المطلب الثالث:

- أشهر كتب التفسير بالأثر:

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري.

التعريف بمؤلف هذا التفسير:

- هو الإمام الحافظ المُفسّر المُحدّث الفقيه المؤرّخ وشيخ المُفسرين والمؤرخين، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد بأمل من بلاد طبرستان سنة 224هـ، وتوفي ببغداد سنة 310هـ. وكان عالمًا بالقرآن بصيرًا بالمعاني، عالمًا بالسنة متقانيًا في العلم، ذكر عنه أن مكث أربعين سنة يكتب كلّ يوم أربعين ورقة، وكان من الأئمة المُجتهدين وقد ألّف في علوم كثيرة فأبدع فيها ومن مؤلفاته:

(1) تاريخ الأمم والملوك، مطبوع وهو من أهم مصادر التاريخ.

(2) اختلاف الفقهاء، مطبوع.

(3) كتاب التبصير في أحوال الدين.

(4) تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)

التعريف بتفسيره وطريقته فيه:

تفسير الطبري من أجل التفاسير بالمأثور قدرًا ذكر فيه ما روي في التفسير عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأتباعهم، وكانت التفاسير قبل جرير لا يذكر فيها إلا الروايات الصرفة، حتى جاء ابن جرير فزاد توجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، وذكر الأغريب والاستنباطات والاستشهاد بأشعار العرب على معاني الألفاظ. وطريقته: يُلخّص الأقوال التي قيلت في تفسير الآية ثم يذكر بعد كلّ قول الروايات التي رويت فيه عن الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين ثم يروي كلّ الروايات التي قيلت في القول الثاني ثم الثالث وهكذا حتّى تكتمل الأقوال والروايات ثم يُرجّح ما يراه ويستدلّ عليه ويردّ على الأقوال المخالفة. (الذهبي، 1405- 1985، صفحة 202/1).

2- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي:

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المُفسّر كان حافظًا واعظًا رأسًا في التفسير والعربية متين الديانة حدّث عن أبي طاهر بن خزيمة وعنه أخذ أبو الحسن الواحدي التفسير وأثنى عليه، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ ولكن هناك من العلماء من يرى أنه لا يوثق به ولا يصحّ نقله، توفي سنة 427هـ ومن مؤلفاته:

(1) كتاب العرائس في قصص الأنبياء عليهم السلام، مطبوع

(2) من ربيع المذكرين.

(3) تفسيره: الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

طريقته في التفسير:

يُفسّر القرآن بما جاء عن السلف مع اختصاره للأسانيد اكتفاءً بذكرها في مقدمة الكتاب، كما أنّه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسّع ظاهر، ويعرض لشرح الكلمات اللغوية وبيان أصولها ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي ويتوسّع في الكلام عن المسائل الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام فتراه يذكر الأحكام والخلافات والأدلة ويعرض للمسألة من جميع نواحيها إلى درجة تخرجه عما يُراد من الآية ويُلاحظ عليه أنه يكثر من ذكر الإسرائيليات بدون تعقيب مع ذكر لقصص إسرائيلية في منتهى الغرابة (الذهبي، 1405- 1985، صفحة 321/1).

3- معالم التنزيل للبغوي:

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفداء البغوي الفقيه الشافعي المُحدّث المُفسّر الملقب بمحيي السنة وركن الدين، كان تقيًا ورعًا زاهدًا إذا ألقى الدرس لا يلقى عليه طهارة وُلد سنة 436هـ، وتوفي سنة 516هـ، بمرور الرود.

كان البغوي إمامًا في التفسير والحديث والفقہ وله مؤلفات في هذه العلوم فمن مؤلفاته:

- (1) شرح السنة المطبوع.
- (2) مصابيح السنة، مطبوع.
- (3) الجمع بين الصحيحين في الحديث.
- (4) التهذيب في الفقہ، مخطوط.
- (5) تفسير معالم التنزيل، مطبوع.

تفسيره وطريقته فيه:

تفسير البغوي مختصر من تفسير الثعلبي لكنّه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والإسرائيليات المبدعة. وطريقته أن يفسر الآية بلفظ سهل موجز وينقل ما جاء عن السلف في تفسيرها وذلك بدون ذكر الإسناد فيقول قال ابن عباس، أو قال مجاهد، وهكذا اكتفاءً بذكر إسناده إلى كلّ من روى عنهم في مقدّمة تفسيره، وقد يذكره في المقدمة ويمتاز بأنّه يتعرّض للقرآن بدون إسراف، ويتحاشى الاستطراد في الإعراب ونكت البلاغة وغير ذلك من العلوم التي أولع بها المفسرون ويلاحظ عليه أنه يذكر روايات عن السلف في تفسير الآية ولا يُرجّح، وينقل عن الضعفاء كالكلبي ويذكر بعض الإسرائيليات بدون تعقيب. (الذهبي، 1405-1985، صفحة 227/1).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير

التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو الإمام الجليل الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الفقيه الشافعي، لازم المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال وصاهره على ابنته وأخذ عن ابن تيمية وفُتِن بحبّه وامتنح بسببه ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة 701هـ، وتوفي سنة 774هـ.

كان ابن كثير على مبلغ عظيم من العلم وقد شهد له العلماء بسعة علمه وغازرة مادته خصوصًا في التفسير والحديث.

ومن مؤلفاته:

- 1- البداية والنهاية في التاريخ، مطبوع.
- 2- شرح صحيح البخاري، ولم يكمله.

3- طبقات الشافعية.

4- جامع المسانيد مخطوط في ثمانية مجلدات.

5- تفسير القرآن العظيم، مطبوع.

طريقة تفسيره:

تفسير ابن كثير من أشهر ما دَوّن في التفسير المأثور، ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير الطبري، اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف. وقد قدّم له بمقدّمة طويلة هامة تعرّض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتّصال بالقرآن وتفسيره، ولكن أغلب هذه المقدّمة مأخوذ نصّه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في كتاب أصول التفسير، طريقته يفسّر الآية بأسلوب سهل واضح ويذكر وجوه القراءات بدون إسراق ويشير إلى الإعراب إن كان له تعلق بتفسير الآيات التي تناسبها، وهذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن وقد اشتهر ابن كثير بذلك، ثمّ يذكر الأحاديث المرفوعة المتعلقة بتفسير الآية، وما روي عن الصحابة والتابعين في ذلك ويعني بتصحيح الأسانيد أو تضعيفها مع بيان سبب الضعف وترجيح بعض الأقوال على بعض مع توجيه ذلك. (الذهبي، 1405-1985، صفحة 234/1).

5- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي:

التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المسند المحقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة حفظ القرآن وهو ابن ثمانين سنين، وحفظ كثيراً من المتون، وأخذ عن شيوخ كثيرين عدهم الداودي فبلغ بهم واحداً وخمسين كما عدّ مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على خمسمائة مؤلف، ولد سنة 849 هـ، وتوفي سنة 911 هـ بالقاهرة. من مؤلفاته:

1- الجامع الصغير في الحديث، مطبوع.

2- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبوع.

3- مجمع الجوامع في النحو، مطبوع.

4- الإتيان في علوم القرآن، مطبوع.

5- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مطبوع.

طريقته في التفسير:

يسرد في الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يعقب عليها فلا يعدل ولا يجرح ولا يضعف ولا يصحح إلا في حالات نادرة وقد أخذ هذه الروايات من البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأحمد وأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا، وتفسير السيوطي هو الوحيد الذي اقتصر على التفسير بالمأثور من بين التفسيرات السابقة التي تحدثنا عنها فلم يخلط بالروايات التي نقلها شيئاً من عمل الرأي كما فعل غيره (الذهبي، 1405 - 1985، صفحة 242/1).

المطلب الرابع:

حكم المأثور عن الصحابة في التفسير:

اختلف الفقهاء فيما نقل عن الصحابة من التفسير بالمأثور، فروي الحاكم في مستدركه أن ما نقل عن الصحابة في التفسير له حكم المرفوع، وأطلق القول في ذلك وعز هذا الرأي إلى الشيخين، وقال الإمام ابن صلاح وغيره: تفسير الصحابة له حكم المرفوع إذا كان متعلقاً بسبب نزول آية، أو مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو موقوف عليه مادام لم يسده إلى رسول الله ﷺ، ولقد قال هذا الرأي الحاكم نفسه في كتابه "معرفة علوم الحديث" فعمم في المستدرک. ورخص في كتابه علوم الحديث.

والمحققون من العلماء كالحافظ بن حجر على أن أقوال الصحابة في التفسير لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ بشرطين:

الأول: أن يكون مما لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول وأحوال القيامة، واليوم الآخر ونحوها.

والثاني: ألا يكون الصحابي معروفاً بالأخذ من أهل الكتاب الذين أسلموا أي غير معروف برواية الإسرائيليات.

والموقوف على الصحابي من التفسير يوجب بعض العلماء الأخذ به لأنهم أهل اللسان، ولما شهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم الصحيح، وفريق آخر لا يوجب الأخذ به لأنه لم يرفعه فهو مجتهد. (الذهبي، 1405 - 1985، صفحة 5/1).

قال الزركشي اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد. والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو روي عن التابعين فالأول يبحث فيه عن صحّة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسّره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شكّ في اعتمادهم، وإن فسّره بما شاهد من الأسباب والقرائن فلا شكّ فيه (الزركشي، صفحة 172/2).

المبحث الثالث:

كما فسّر القرآن بعض ببعض فكذلك جاءت السنة مفسّرة لكثير من القرآن، وإذا رجعنا إلى كتاب الله تبارك وتعالى وجدناه يشهد بذلك فقد قال تعالى: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل/ 44]**

وقوله تعالى: **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**

[الحشر/ 7].

فلسنة أثر عظيم في إظهار المراد من الكتاب وفي إزالة ما قد يقع في فهمه من خلاف أو شبهة، وبيان السنة للقرآن على أنواع:(الجبوري، 1406-1986، صفحة 34) .

1- أن تكون شارحة ومبيّنة للقرآن.

2- أن تكون مثبتة ومنشئة حكماً سكت عنه القرآن.

3- أن تكون مقررة ومؤكدة لحكم ورد في القرآن.

وفيما يلي تفصيل هذه الأنواع.

المطلب الأول: أن تكون شارحة ومبيّنة للقرآن:

وهذا على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول/ أن تبين جمل القرآن:

ومن ذلك أن الله تعالى أمر بالصلاة في الكتاب من غير بيان لمواقيتها وأركانها وعدد ركعاتها فبيّنت السنة العملية، فقال: (صلّوا كما رأيتموني أصلي)(البخاري، 1412-1992، صفحة 194/1) رقم الحديث (631) .
وورد وجوب الحجّ في الكتاب من غير بيان مناسكه فقال: (خذوا عني مناسككم)(ابن حنبل، 1413-1993،
صفحة 404/3 (14403))(الجبوري، 1406-1986، صفحة 34)، فإنّها فسّرت الإجمال الوارد في القرآن
الكريم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإتمام الحجّ والعمرة(حمادو، 1432-2011، صفحة 300/1).

الوجه الثاني/ أن تخصص عام القرآن:

كحديث: (لا تتكح المرأة على عمتها ولا على خالتها)(القشيري النيسابوري، صفحة 562 (3440))، فإنه مخصص لقوله تعالى بعد عدّ المحرّمات

من النساء: (وأحلّ لكم ما وراء ذلكم)[النساء/ 24].

ومثل حديث (ليس لقاتل شيء)(الحمري، صفحة 625 (1508)) فإنه مخصص لآيات المواريث في قوله تعالى

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ^ط [النساء/ 11](حمادو، 1432-2011، صفحة 300/1) وكان الحكم عامًا في كلّ أصل

موروث وكلّ ولد وارث فقصرت السنة على غير القاتل، وعلى غير الأنبياء.

الوجه الثالث/ أن تقيد مطلق القرآن:

كالسنة التي بيّنت أن الذي يقطع في السرقة هي اليد اليمنى من الرسغ وهو المفصل الذي بين الكف والساعد-

والآية الكريمة مطلقة فيها: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم)

[المائدة/ 38]. فإن اليد مطلق تحتل اليمين والشمال، كما أنّ القلع مطلق يحتمل أنّه من الرسغ أو الكوع أو من

أي موضع(حمادو، 1432-2011، صفحة 300/1).

وقوله تعالى: (وليطوفوا بالبيت العتيق) [الحج/ 29]، يوجب الطواف مطلقاً، ولكن السنة قيّده بالطهارة، وقوله

تعالى: (من بعد وصية يوصى بها) [النساء/ 11]، وردت الوصية مطلقة فقيدتها السنة بعدم الزيادة على

الثالث(الجبوري، 1406-1986، صفحة 35).

المطلب الثاني: أن تكون مثبتة ومنشئة حكماً سكت عنه القرآن:

وهو أن تأتي بحكم جديد ليس في الكتاب ولذلك أمر الله تعالى بطاعة رسوله مع الأمر بطاعته في كثير من

الآيات وقد أمر رسول الله ﷺ معاً أن يرجع إلى السنة إذا لم يجد الحكم في الكتاب ولو لم يكن فيها زيادة على

ما في الكتاب لما كان هناك فائدة من الرجوع إليها(الجبوري، 1406-1986، صفحة 36).

فيكون هذا الحكم ثابتاً بالسنة، ولا يدلّ عليه نصّ من القرآن، مثل الأخبار التي تدلّ على رجم الزاني المحصن، و تحريم لبس الذهب والحريير على الرجال، ووجوب الدية على العاقلة، وتحريم لحوم الخمر الأهلية، ونحو ذلك(حمادو، 1432-2011، صفحة 301/1).

يقول الإمام الشافعي في رسالته: (فلم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سنن النبي ﷺ من ثلاثة وجوه فاجتمعوا منها على وجهين، والوجهان يجتمعان ويتفرعان:

أحدهما/ ما أنزل الله فيه نصّ كتاب، فبيّن رسول الله ﷺ مثل ما نصّ الكتاب.

والآخر/ مما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبيّن عن الله معنى ما أراد.

وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيها.

والوجه الثالث/ ما سنّ رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نصّ كتاب.(القرشي الشافعي، 1399-1979، الصفحات 91-92).

المطلب الثالث: أن تكون مقررة ومؤكدة لحكم ورد في القرآن:

وعندئذ يكون للحكم دليلان، من ذلك حديث: (استوصوا بالنساء خيراً)(القشيري النيسابوري، صفحة 595 (3647)) فإنه موافق ومؤكّد لقوله تعالى: (وعاشروهنّ بالمعروف) [النساء / 19].

وحديث: (لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس)(الدارقطني، 1386-1966، صفحة 26/3 (91))، فإنه مؤكّد ومؤيّد لقوله تعالى: لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ [النساء / 29].

وأحاديث تحريم شهادة الزور، وقتل النفس بغير حقّ، وعقوق الوالدين وعدم الإحسان إليهما وغيرها(حمادو، 1432-2011، صفحة 226).

ويكون الحكم مستمداً من مصدرين الكتاب مثبتاً له والسنة مؤيّدة.(الجبوري، 1406-1986، صفحة 36)

الخاتمة:

دعت آيات من القرآن العظيم الناس إلى تدبّر كتاب الله وفهمه، فمن ذلك قوله تعالى في سورة النساء: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

جرى سلفنا الصالح على هذه السنن، ففهموا هذا الكتاب الكريم، ودرسوه وعملوا به، بل كانوا لا يجاوزون آية إلى أخرى حتى يعلموا بما فيها، فتعلموا العلم والعمل جميعاً، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، وتوافروا على قراءته كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليها.

لقد كان القرآن معجزة دليلاً عقلياً على صحة دعوى محمد ﷺ بالنبوة والرسالة، بل كان القرآن الناقل بالتواتر معجزتي موسى وعيسى ومعجزات الآخرين، فتوجب على من آمن برسالة محمد وصدق بكتابه المعجز الإيمان بمعجزات الرسل السابقين التي حفظها لنا القرآن.

ولم يكن القرآن حافظاً لأخبار الآخرين من الأقاليم، ولا حافظاً لمعجزات المرسلين السابقين، إنما كان كتاب هداية ورحمة للعالمين وفيه خير العباد، ونظم حياتهم في الأولى والآخرة.

إن على طلبة العلم خاصّة، وعلى المسلمين عامّة أن يولوا هذا الكتاب الكريم العظيم ما أولاه آباؤهم وأسلافهم من الجهد والعناية والضبط والتحرير، لأن سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة مرتبطان بهذا الكتاب العزيز وتوقيره وإحلاله في حياتهم محلّ القيادة.

وتوقيره وتعظيمه والقيام به على أحسن وجه يكون في تدبره، وخدمته والعناية به، والعمل بمقتضاه.

المراجع

- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (بلا تاريخ). صحيح مسلم (المجلد الأولى). رومية.
- أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري. (1418 - 1998). جامع الأصول في أحاديث الرسول (المجلد الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو اليقظان عطية الجبوري. (1406-1986). دراسات في التفسير ورجاله (المجلد الثالثة). بيروت: دار الندوة الجديدة.
- أبو بكر الإشبيلي محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري. (1418 - 1997). عارضة الأحوذني بشرح سنن الترمذي (المجلد الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الإمام أحمد ابن حنبل. (1413-1993). مسند أحمد (المجلد الأولى). (محمد سليم إبراهيم سمارة، المحرر) بيروت: المكتب الإسلامي.

- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. (بلا تاريخ). البرهان في علوم القرآن. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: مكتبة صيدا.
- تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني. (1420 - 2000). تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية (المجلد الأول). بيروت: مؤسسة ريان.
- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني. (1418 - 1997). سنن أبي داود (المجلد الأول). بيروت: دار ابن حزم.
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (بلا تاريخ). الإتيان في علوم القرآن. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: دار المعرفة.
- علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني. (1386 - 1966). سنن الدارقطني. بيروت.
- مالك بن أنس أبو عبد الله الأبحي الحمري. (بلا تاريخ). كتاب العقول (المجلد الثانية). بيروت: المكتبة العلمية.
- محمد بن مكرم ابن منظور. (1410 - 1990). لسان العرب. بيروت: دار جاد.
- محمد بن إدريس أبو عبد الله الهاشمي القرشي الشافعي. (1399 - 1979). الرسالة (المجلد الثانية). القاهرة: مكتبة دار التراث.
- محمد بن إسماعيل البخاري. (1412 - 1992). صحيح البخاري (المجلد الأول). بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد حسين الذهبي. (1405 - 1985). التفسير والمفسرون (المجلد الثالثة). القاهرة: مكتبة وهبة.
- محمد رواس قلعة جي. (1421 - 2000). الموسوعة الفقهية الميسرة. بيروت: دار النفائس.
- نذير حمادو. (1432 - 2011). إمتاع أهل العقول بحقائق علم الأصول (المجلد الأول). بيروت: دار ابن حزم.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. (1404 - 1983). الموسوعة الفقهية (المجلد الثانية).